الحوارات الأسرية في القرآن الكريم

مقدمته

د. صالحة الشريف حسين محمد الهجاري

المقدمة :-

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على نهجه وسلم تسليماً كثيراً .. وبعد :

فإن أسلوب الحوار من أهم الأساليب في عرض الدعوة الإسلامية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

فالقرآن الكريم اشتمل على كثير من الحوارات التي جاءت لتتحدث عن مواضيع مختلفة ، تهم الناس كافة ، وقد جرت بين أطراف متعددة كحوار الله ﷻ مع الملائكة ، وحواره مع أنبيائه عليهم السلام ، وحوار الأنبياء مع أقوامهم .. وغيرها من الحوارات مما يسترعي الانتباه ، ويلفت الأنظار ، وكلها تعطي لنا دروساً كثيرة ، وتتركك للعقول المجال الأوسع لاستنباط العبر والعظات ، وقد اقتصرت في هذا البحث على الحوارات الأسرية ، وبيَّـنْتُ بعض الدروس والعبر المستفادة منها .

أسباب اختيار الموضوع :

١. اشتمال القرآن على كثير من الحوارات الأسرية والتي يستلهم منها الإنسان العبر والعظات

٢. بيان اهتمام الإسلام بالأسرة من الزوجة والأبناء فهو يعرض لحواراتهم وكيفية توجيهها وعلاجها ، وأخذ العظة والعبرة منها .

٣. ظهور بعض المشاكل الاجتماعية والأسرية نتيجة للبعد عن تدبر القرآن وتوجيهاته .

٤. إن أسلوب الحوار من أنجح الأساليب لحل المشكلات بين الأفراد .

٥. إن التعـــامل مع المخالفـــين عن طريق الحوار القائم على العقل لا على الهوى ، وسيلة من وسائل الإقناع والرجوع إلى الحق .

خطة البحث :-

قسمت البحث إلى مقدمة ، وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة

المقدمة : وفيها أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث .

التمهيد : و فيه معنى الحوار ، وآداب الحوار الأسري .

المبحث الأول :-

الحوارات الزوجية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :- حوار النبي ﷺ مع زوجاته .

المطلب الثاني : - حوار موسى عليه السلام مع أهله .

المطلب الثالث : حوار امرأة فرعون مع زوجها .

المبحث الثاني :- حوار الآباء مع أبنائهم ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :- حوار نوح عليه السلام مع ابنه .

المطلب الثاني :- حوار إبراهيم مع إسماعيل – عليهما السلام –

المطلب الثالث :- حوار يعقوب عليه السلام مع أبنائه .

المطلب الرابع :- حوار أم موسى عليه السلام مع ابنتها .

المبحث الثالث : - حوار الأبناء مع الآباء ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول :- حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر .

المطلب الثاني :- حوار إسماعيل مع أبيه إبراهيم – عليهما السلام –

المطلب الثالث :- حوار يوسف مع أبيه يعقوب - عليهما السلام -

المطلب الرابع :- حوار ابنة شعيب مع شعيب عليه السلام

المطلب الخامس : - حوار الابن العاصي الكافر مع والديه

المبحث الرابع :- حوارات الإخوة ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :- حوار موسى وأخيه هارون - عليهما السلام -

المطلب الثاني :- حوار ابني آدم عليه السلام

المطلب الثالث : - حوار إخوة يوسف عليه السلام

الخاتمة : ختمت البحث بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

التمهيد :

معنى الحوار

الحوار لغة :-

الحور : الرجوع من الشيء وإلى الشيء ، وأحار علية جوابه : رده .

والمحاورة : المجاوبة ، والتحاور التجاوب ، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام . [١]

وحاوره محاوره : وحواراً : جاوبه وجادله . ومنه ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ الكهف : ٣٧

وتحاوروا : تراجعوا الكلام فيما بينهم وتجادلوا ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ المجادلة : ١ [٢]

والمحاورة : المراده في الكلام ، ومنه التحاور ، وكلمته فما رجع إلى حوار . [٣]

الحوار في الاصطلاح : الحوار : حديث يجري بين شخصين أو أكثر [٤] ، وقيل الحوار : أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب ، بشرط وحدة الموضوع أوالهدف فيتبادلان النقاش حول أمر معين ، وقد يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع أحدهما الآخر ، ولكن السامع يأخذ العبرة ، ويكون لنفسه موقفاً . [٥]

آداب الحوار الأسري :

١. تجنب إتباع أسلوب الاستهزاء في حوار كل طرف مع الآخر سواء الأزواج مع بعض أو الآباء مع الأبناء .
٢. احترام المتحاورين ، والهدوء وعدم الغضب ، وتجنب الانفعال .
٣. عدم رفع الصوت عند المحاورة فهي ليست دليل على صحة قول المحاور .
٤. حسن الاستماع والإنصات إلى أن ينتهي المحاور من كلامه ، فالاستماع الجيد للطرف المتحدث يعطي الفرصة للتعرف عليه وبالتالي حسن التوجيه والتحاور معه .
٥. اختيار الألفاظ في الحوار له دور كبير على نفس المتحاور مثل (يا بني) (يا أبت)
٦. الصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس .
٧. عدم الاستهزاء بالآخرين أو التقليل من قيمتهم وشأنهم .

٨. إظهار الشفقة والرحمة في الخطاب .

٩. استخدام الأساليب التوضيحية في التحاور ، خاصة عندما يكون الحوار للأبناء لأن الأمثلة والأساليب التوضيحية تثبت الهدف الرئيسي من التحاور والمطلوب من الكلام .

١٠. اختيار الأوقات المناسبة ، واستغلالها ليكون أدعى إلى حسن التحاور والاستجابة .

المبحث الأول : الحوارات الزوجية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :-

حوار النبي ﷺ مع زوجاته

لقد اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على عدة حوارات للنبي ﷺ مع زوجاته ، والتي توضح العلاقة بين الزوجين وأنها قائمة على الحوار والمناقشة وحسن التعامل ، ومن هذه الحوارات القرآنية :

أولاً : حوار المعاتبة

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ التحريم: ٣

قال المفسرون[٧] في هذه الآية أن النبي ﷺ أسر إلى حفصة – رضي الله عنها – بحديث يعني تحريم مارية على نفسه ، وكذلك أسر إليها أن أمر الخلافة من بعده إلى أبي بكر وعمر ﷺ واستكتمها ذلك ، ولكن حفصة – رضي الله عنها – انطلقت فأخبرت عائشة – رضي الله عنها – فأظهره الله عليه فعرف لها بعض القول وأعرض عن بعض ، وكان كريماً ﷺ [٨] فلم يخبرها أنها أخبرت عائشة – رضي الله عنها – على وجه التكرم والإغضاء [٩] منه ﷺ ، والذي أعرض عنه ذكر خلافة أبي بكر وعمر ﷺ ، فلما نبأها به قالت : من أنبأك هذا ، ولم تشك أن صاحبتها أخبرت عنها [١٠] فقال ﷺ : ﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

والمتتبع لحوار النبي ﷺ مع حفصة – رضي الله عنها – يجد أنه تضمن دروساً عدة منها :

١. الأدب والتأدب في الخطاب وفي عرض المقول .

٢. النبي ﷺ لم يذكر لحفصة – رضي الله عنها – كل ما قالته بالرغم من إفشائها لسره ، وقد استكتمها ، بل عرف بعضه وأعرض عن بعض وهذا من فعل الكرام قال سفيان : "مازال التغافل من فعل الكرام" . [١١]

٣. ذكر بعض القول والإعراض عن البعض ، ففي ذكـــر بعض القول المُفشى يزيد من خجل المُفشي أو من أظهـــر القول فهو لا يتحامل بذكر كل القول بل تكفي الإشارة إلى بعضه .

٤. إســـرار الزوج إلى من يركن إليها ببعض الأمور فيه دلالة على حسن العشرة مع الزوجات [١٢] كما فعل النبي ﷺ مع حفصة – رضي الله عنها– من إخبارهن ببعض أسراره ، ومن ثم لم يوبخ أو يزيد في القول وإنما ذكر بعض القول فقط .

٥. الإخبار بمصدر الخبر ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا ﴾ حتى لا تحدث القطيعة ويكثر الشقاق ويدخل الشيطان بين الزوجات ، فقد أخبرها الرسول ﷺ أن العليم الخبير الذي يعلم السر أنه الذي أوحى إليه وأخبره .

٦. التلطف في العتب والإعراض عن استقصاء الذنب [١٣] ، فيكفي التلميح والإشارة لأن كثرة الملامة وإعادة الكلام تقسي القلب .

٧. على المتحاورين أن يختصـــروا في الكلام وإعطـــاء المطـــلوب حتى لا يتطور الأمر إلى الجدال والمماراة والخصومة بين الطرفين ، فاختصار الكلام يحمـــل الطرف المخطئ على الاعتراف بالخطأ والرجوع عن الذنب .

٨. الصبر على الزوجة وعدم إلحاق الأذى بها بمجرد الخطأ ، بل ينصح ، وينبه ، ويؤدب لأن هذا يؤدي إلى الرجوع للحق والصواب .

٩. على الزوجة عدم إفشاء أسرار الزوج حتى تسير دفة الحياة ، وتصبح مطمئنة ، وإفشاء الأسرار فيه إيذاء للزوج ولسمعته ، وإن كثيراً من المشاكل بين الأزواج مرجعها إلى إفشاء الأسرار وأخذ رأي الآخرين في مسائل الحياة الزوجة .

١٠. من طبيعة الرجل أنه لا يتحدث كثيراً ، ولا يحب أن يخرج أحد أخباره حتى في حال الخصومة بين الطرفين ففي علاج الرجل إذا كان النشوز منه فإنه تصطلح معه ولا تفشي سره قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء: ١٢٨

١١. تحمل الرجل لأهله وتغافله عما يحدث منهم ، فلا يصـــر على كل كبـــيرة وصغيرة لأنها هي حاضنة أولاده ، وتتحمل أموراً كثيرة في المنزل .

١٢. الغيرة موجودة لدى النساء لذلك لم يوبخ النبي ﷺ عائشة – رضي الله عنها – عندما كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ [١٤]

ثانياً : حوار التخيير

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

الأحزاب: ٢٨ – ٢٩

إن نساء النبي ﷺ طالبنه بالنفقة فقد كن يعشن في شظف من العيش ، وكان يمر الشهر والشهران والثلاثة لايوقد في بيت رسول الله ﷺ نار ، فطالبنه بالنفقة ، وطالبنه شيئاً من عرض الدنيا ، إما زيادة النفقة أو غير ذلك ، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً ، ثم أمره الله أن يخيرهن بين الصبر عليه والرضا بما قسم لهن والعمل بطاعة الله ، أو بين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذي يقسم لهن . [١٥]

والمتتبع لهذا الحوار يجد أنه تضمن دروساً عدة منها :

١. أن النبي ﷺ لم يفرض عليهن الرأي أو يجبرهن على فعل شيء بل خيرهن ، وضمن لهن الحرية كاملة في الاختيار .

٢. بين النبي ﷺ لهن أنه حتى في حال اختيار الفراق – ولم ولن يقع منهم رضي الله عنهن – سيعطيهن حقوقهن كاملة ، فالفرقة تجعل الأزواج يهضمون حق الزوجات ، ولكن الرسول ﷺ عرض عليهن الفرقة والطلاق مع أخذ كامل حقوقهن .

٣. في حال البقاء معه والرضا بالعيش القليل واختيار الله ورسوله بين لهن الجزاء الأعظم يوم القيامة ، فهو يعرض الأمر ويبين نتائجه أو عواقبه حسنة كانت أو سيئة .

٤. من أساليب الحوار مع الآخر : قوة الحجة وهي تأتي من إيضاح الأمور وعرض النتائج .

٥. إن الحوار إذا كان بين اثنين وكان أحدهما أقوى من الآخر بسبب الولاية أو الوصاية كالزوج على زوجته والأب على أبنائه والرئيس على مرؤوسيه ، فهذا لا يعني أن يفرض الطرف الآخر قوله ورأيه بل لابد للسماح للطرف الأضعف أن يذكر رأيه وهذا من أدب الحوار فعلينا الاقتداء بفعل النبي محمد ﷺ فالمرء عندما يكون في موضع سيطرة يفرض مكانة دون حوار وهذا خطأ ، فالإنسان لابد أن يتنبه لذلك ويتأدب بالأدب النبوي .

٦. فيه حث المرأة على الصبر على زوجها ومعاشرته بالحسنى ، فلا تكلفه ما لا يطيق أوتجعله يستدين ، ويقع في أمور شتى بسبب عدم حرصها .

٧. ليست السعادة في الحصول على الدنيا بكامل زينتها بل السعادة تأتي من طاعة الزوج والتوافق معه والتفاهم بينهما ، فليست الأموال والقصور هي مقياس سعادة الأفراد .

٨. عدم النظر إلى الآخرين وما في أيديهم ، بل القناعة تكفي .

٩. الحرص على الأمور الأخروية لأنها هي الباقية ، وهي التي تجعل الإنسان يرضى في هذه الدنيا لأنه يتطلع إليها .

١٠. على الأزواج وعد الزوجات برغد العيش إن يسر الله له الأمر ، فالكلمة الطيبة لها أثر في النفس حتى وإن لم يتحقق المطلوب .

١١. العدل بين الزوجات في المبيت والنفقة كما كان يفعل النبي ﷺ .

١٢. إن لتخيير الزوجة إن هي لم ترض بالحياة مع الزوج أفضل الأثر ، حيث لا تكون هناك خصومات أو تنازع بل تراضي بين الطرفين .

١٣. الحياة الدنيا ليست سعادة دائمة ، بدون أي ابتلاءات أو شدة ، فعلى المرأة والرجل الصبر في هذه الحياة حتى تسير الأمور ، ففي التنازل عن بعض الأمور من كلا الطرفين أفضل الأثر في سير الحياة الزوجية .

١٤. عدم سماع الآخرين والإصغاء لهم ، فهذا قد يعكر الحياة الزوجية لذلك لعن الرسول ﷺ من خبب امرأة على زوجها .

ثالثاً : حوار النصح

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٠ – ٣٢

قال المفسرون [١٦] : لما خيرهن النبي ﷺ واخترن الله ورسوله ، أدبهن الله ، وهددهن للتوقي عما يسوء النبي ﷺ ويقبح بهن ، من الفاحشة التي هي أصعب على الزوج من كل ما تأتي به زوجته ، وأوعدهن بتضعيف العذاب – مع استحالة وقوع ذلك منهن – رضي الله عنهن – ثم أتت المقابلة اللطيفة سريعاً : ومن يطع الله ورسوله منكنّ، وتعمل بما أمر الله به يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرهنّ من سائر نساء الناس ، وأعتدنا لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنة .

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٩

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، لا يتشبهن بالإماء في لباسهنّ إذا هن خرجن من بيوتهنّ لحاجتهنّ، فكشفن شعورهنّ ووجوههنّ، ولكن ليدنين عليهنّ من جلابيبهنّ، لئلا يعرض لهنّ فاسق إذا علم أنهن حرائر بأذى من قول .

وقد وصف بعض السلف الإدناء الذي أمرهنّ الله به هو أن يغطين وجوههنّ ورؤوسهنّ ، عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: لما نزلت هذه الآية خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها .

من خلال الآيات يظهر ما يلي :-

١. بيان مكانة نساء النبي ﷺ ، وكونهن قدوة للغير وأنهن زوجات النبي ﷺ

٢. اهتمام المرأة ببيتها وزوجها وعدم الخروج والتبرج والسفور .

٣. الخطاب لزوجات النبي ﷺ لكنه يشمل زوجات المؤمنين فالتحذير من الفاحشة للجميع .

٤. على المرأة أن تحافظ على زوجها وعرضه ، فلا تدخل أحداً بيته إلا بإذنه .

٥. على المرأة التستر وعدم السفور ، وفي هذا صيانة للمرأة وحفظاً لها من الإيذاء كما قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

٦. نهي المرأة عن الخضوع في القول ، فهذا يثير الرجل الذي قد يتعرض لها بالإيذاء .

المطلب الثاني :-

حوار موسى عليه السلام مع أهله

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ طه: ١٠

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ النمل: ٧

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

القصص: ٢٩

في حوار موسى عليه السلام مع أهله يظهر :

١. حسن تعامل الزوج مع زوجته فهو لم يتجاهل الزوجة بل أخبرها بما يريد أن يفعل أو مكان توجهه .

٢. تعليل الفعل حيث أمرهم بالبقاء وعلل أنه رأى ناراً ، فأراد أن يجلب لهم شيئاً منها ليستدفئوا بها ويستضيئوا .

٣. الحنو على الزوجة والشفقة عليها ، فهو يسير في طريق طويل ، والوقت ليل والجو ظلمة وقد ضل الطريق والليلة شاتيه [١٧]، فبمجرد أن رأى النار توجه إليها من فوره ، لعل أن يأتي منها بشيء يفيدهم في طريق رحلتهم وعودتهم إلى مصر .

٤. عدم اصطحاب امرأته معه حيث لا يعلم ماذا ينتظره عند هذه النار ، وهذا من حرصه وخوفه على زوجه ، ورحمته بها .

٥. تطمين الأهل وإخبارهم بما يريد أن يفعل ، خصوصاً إذا كان الموقف يستدعي ذلك كما حصل مع موسى عليه السلام

٦. الطلب من الأهل التريث والبقاء إلى أن يذهب ويرجع بما فيه خير لهم .

٧. من هذا الحوار يظهر حسن التعامل مع الآخر سواء كان زوجة أو أولاد أو أصحاب وإخبارهم بما يريد أن يفعل ليطمئن الآخرون ولا يكون هنا اعتراض أو جدل .

٨. طاعة الزوج وبقاء الزوجة وعدم مجادلتها له في الذهاب معه .

٩. رحمة الأهل والحرص عليهم حيث أخذ ينظر لعله يهتدي لشيء يدله على الطريق .

١٢. عدم ملاحقة الزوج ومطالبته بما لا يريد خاصة وقت الأزمات والشدة .

المطلب الثالث :-

حوار امرأة فرعون مع زوجها

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ القصص: ٩

نلاحظ في حوار امرأة فرعون مع زوجها عدة أمور :

١. على الرغم من جبروت فرعون وسطوته ، إلا أن المرأة لها دور كبير في توجيه الزوج أو الطلب منه ، كما طلبت امرأة فرعون منه إبقاء موسى عليه السلام ، فهنا ظهر في حوارها حسن الكلام ، وحسن الحوار ، والحجة المقنعة .

٢. في حوارها مع فرعون لم تبدأ بالمنع أولاً ، فلم تقل لا تقتلوه فإن ذلك ينبه الطرف الآخر على عصيان قولها ، بل بدأت بقولها ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ فبدأت بالأمر الطيب للنفس الذي يجعل النفس تميل وترغب إلى القول ثم عقبت بقولها ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾

٣. بل وعندما أتت بقولها ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ لم تذكـــره مجرداً ، بل عقبت بقولها ﴿ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ فالزوجة يجب أن لا تتحدى زوجها ، أو تعترض مباشرة على قوله ، بل تستخدم أسلوب اللين والتودد .

٤. الاستمالة والرفق في الخطاب ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ ثم عقبت بقولها ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ فاختيار الكلمات الأوفق يلين قلبه ، فهو لم يرزق بذرية فقدمت السبب في عدم قتله ليكون لهما قرة عين .

٥. على الزوجة الحصيفة أن تعرف زوجها وما يحب وما يكره ، وتخاطبه بما يوافق هواه ، ويوصلها إلى مبتغاها أو مرادها بدون معارضة أو مماراة أو جدل .

المبحث الثاني : حوار الآباء مع أبنائهم ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :-

حوار نوح – عليه السلام – مع ابنه

الشفقة والرحمة

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۗ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هود: ٤٢ - ٤٣

كان نوح عليه السلام يعلم أن ابنه كافر إلى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن أنه عند مشاهدة تلك الأهوال وبلوغ السيل الزبى ينزجر عما كان عليه ويقبل الإيمان، فحملته شفقة الأبوة على أن ناداه ، وناداه بالتصغير من باب التحنن والرأفة، وكثيراً ما ينادي الوالد ولده كذلك { ٱرْكَبَ مَّعَنَا } أي في السفينة ولتعينها وللإيذان بضيق المقام { وَلاَ تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ } تأكيد للأمر وهو نهي عن مشايعة الكفرة والدخول في غمارهم .[١٨]

قَالَ سَآوِيۤ : أي سأنضم { إِلَىٰ جَبَلٍ } من الجبال { يَعْصِمُنِي } أي يحفظني بارتفاعه { مِنَ ٱلْمَآء } فلايصل إلي، قال ذلك زعماً منه أن ذلك كسائر المياه في أزمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود إلى مرتفع، وجهلاً منه بأن ذلك إنما كان لإهلاك الكفرة فلا بد أن يدركهم ولو كانوا في قمم الجبال { قَالَ } مبيناً له حقيقة الحال وصارفاً له عن ذلك الفكر المحال { لاَ عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ } مبالغة في نفي كون الجبل عاصماً، وزاد { ٱلْيَوْمَ } للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص منها بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية .

يظهر من حوار نوح – عليه السلام – مع ابنه :

١. الرحمة في الخطاب ، وإظهارشفقة الأبوة والحنان والرحمة لهذا الابن ، ومناداته بلفظ البنوة ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾ تلك الصلة القوية بين الابن وأبيه .

٢. لا يخاطبه بلفظ الكفر وإنما يقول لا تكن مع الكافرين ، وهو يعلم أنه لم يؤمن بالله ولكنه يشفق عليه ويقول لا تكن مع الكافرين وكن مع المؤمنين ليرحمك الله .

٣. لم يعب عليه الكفر ولم يناديه بالكفر ، وإنما بالبنوة لإظهار الشفقة والرحمة

٤. رد الابن على أبيه بلفظ العقوق الواضح الذي لا يظهر إلا من الكافرين ، لم يقل يا أبت ، وإنما قال أنه يعرف كيف يحمي نفسه ، وكيف أنه مستغنٍ عن رحمة الله – والعياذ بالله –

٥. في رد نوح مرة أخرى يقرر وحدانية الله ، وقدرته سبحانه وتعالى وحده على إنقاذهم من الغرق فهو يوضح عله يرجع عن كفره وعصيانه ولكنه مصرٌ مستكبرٌ على فعله وقوله .

٦. حرص نوح – عليه السلام – على دعوة ابنه وتكرار الأمر عليه مراراً (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) فهو يدعو إلى النجاة وإلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى

٧. وضوح العاطفة " يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين " تظهر شفقة نوح – عليه السلام – على ابنه ، ورحمته به ، فهو يعلم مصير الكافرين ، ويخاف عليه من هذا المصير .

٨. يشفق نوح مرة أخرى ويقول " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " فهو يرجو رحمة ربه ولا يقنط منها ، ولذلك طلب من ربه نجاة ابنه ، ولكن الله تعالى بين حقيقة العلاقة وأنها قائمة على الإيمان وليس على البنوة .

٩. إظهار عجز الإنسان وافتقاره إلى ربه ، والتوجه إليه بالدعاء .

١٠. الحرص على دعوة الأبناء ، والتمسك بذلك والدعاء لهم والهداية بيد الله سبحانه وتعالى

١١. على المربي أن يهتم بتربية أبنائه ونصحهم ولا يترك ذلك ولا يتغافل عنه .

١٢. أن الأب الصالح قد يكون له أبناء غير صالحين ، وقد يكونون كافرين ، ولا يعني هذا أن يقصر الأب في نصح أبنائه ، وتربيتهم وتوجيههم وتقويمهم ، فهذا واجب عليه ، وهو مقصر آثم ما لم يقم به . [١٩]

١٣. أن الأب مطالب بدعوة ابنه ونصحه ، ولكنه غير مطالب بقذف الإيمان في قلبه ، لأنه لايملك ذلك ، فهو بيد الله وحده .

١٤. إن الأب الصالح لا يرضى ولا يقبل أن يكون أحد أبنائه كافراً أو فاجراً عاصياً بل سيتألم ويحزن لذلك ، ولكنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى .

١٥. إن الأب الصالح يحب أن يكون ابنه خيراً منه ، وأكثر صلاحاً وعبادة ، ويسعى إلى ذلك ويوجه ابنه إليه ، وكم تسر عينه وتنشرح نفسه عندما يرى ذلك ، وبالمقابل كم يشعر بالخسارة والألم والتعب إن رفض ابنه ذلك . [٢٠]

المطلب الثاني :-

حوار إبراهيم مع إسماعيل – عليهما السلام –

تنفيذ أمر الله

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات: ١٠٢

قال المفسرون: فلما بلغ الغلام الذي بشر به إبراهيم معَ إبراهيم العملَ، وهو السعي، وذلك حين أطاق معونته على عمله .

رأى إبراهيم عليه السلام في منامه أنه ذبحه فحمله على ما هو الأغلب في رؤيا الأنبياء عليهم السلام من وقوعها بعينها، ويحتمل أنه رأى ما تأويله ذلك لكن لم يذكره وذكر التأويل ، ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة .

وإنما شاوره في ذلك وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله عز وجل ، فيثبت قدمه إن جزع ، ويأمن عليه إن سلم ، وليوطن نفسه عليه فيهون عليه ، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى قبل نزوله ، وليكون سنة في المشاورة . [٢١]

فنجد إبراهيم عليه السلام لا يحاوره بمنطق القوة والسلطة بل يترك مجالاً للرأي الآخر وخاطبه بلفظ البنوة (يا بني) وأعطاه حقيقة الأمر (إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) ولم يقل سأفعل بك ذلك سواء رضي الابن أم لم يرض ، وإنما قال (فانظر ماذا ترى)

أي : تخيّر في أمرك وتفكر ، فأخبرني بما تريد فأجاب الابن (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)

من خلال حوار إبراهيم – عليه السلام – يظهر :

١. لم يناده باسمه المجرد بل ناداه بلفظ البنوة ، تلك الصلة القوية بين الأب وابنه ، ويظهر فيها مدى شفقته وحنانه على إسماعيل ، مما يزيده محبة وإقبالاً على أبيه .

٢. اختيار الألفاظ المناسبة المحببة للابن التي تظهر محبة الأب وحرصه على ابنه مثل يا بني أو تصغير اسمه ، مناداته بكنيته ، مما يجعل الابن يستجيب لما يطلبه منه الأب .

٣. ينقل له رؤياه ويطلب منه رأيه فيما رأى وإن كان يعلم أن رؤيا الأنبياء حق ، فيخبره بما رأى بصيغة الإخبار وليس بصيغة الأمر .

٤. من الأساليب الفعالة في الحوار الأسري : الإيحاء بالفكرة عند الطلب ، وترك القرار للابن وفي هذا مساعدة له على الاختيار دون الشعور بالتدخل .

٥. لم يقدم الذبح على الرؤيا بل قدم السبب فيما يقول ، ثم هو لا يفرض عليه الرأي ولا يلزمه به بل يخيره ، وهو في مقام القوة والسيطرة والأمر .

٦. هدوء إبراهيم – عليه السلام – ورباطة جأشه عندما يخبره بأمر هو في نفس الوقت شديد على نفسه لأن إسماعيل – عليه السلام – ابنه ولكنه يمتثل أمر الله .

٧. على الرغم من تخيير إبراهيم – عليه السلام – لابنه ولكنه يرجو أن يستجيب لأن هذا وحي من الله عز وجل وهو يريد تنفيذه .

٨. على الآباء الاقتداء بإبراهيم – عليه السلام – في تربية الأبناء على طاعة الله عز وجل فمن ثمرات طاعته سبحانه والصدق معه ، يصدق الأبناء ويطيعوا .

٩. تعليل الطلب فلا يطلب مباشرة دون إيضاح الأمر ، فهذا يجعل الابن يستمع لأبيه .

١٠. الهدوء وخفض الصوت له دور كبير في التعامل مع الأبناء ، لأن في الصراخ ورفع الصوت يجعل عند الابن ردة فعل لما يقال له بخلاف لو كان الكلام هادئاً لا توتر فيه .

١١. على المحاور إذا طلب شيئاً حتى وإن كان يرى أن رأيه هو الصواب أن يترك مجالاً لمن أمامه أن يبدي رأيه وهذا من حسن المحاورة ، والرد ليس عصياناً لما يريد وإنما هو إخبار عما يريد ، وإيضاح وجهات النظر .

١٢. إن اختيار الأوقات والأماكن المناسبة لمحاورة الأبناء ومناقشتهم مهم جداً . فالحديث في الوقت غير المناسب لا يجدي ويؤدي إلى الخصومة والجدل .

١٣. الاهتمام بالحالة النفسية للأبناء ، فحالات الصفاء والود أجدى في المحاورة والنقاش .

المطلب الثالث :-

حوار يعقوب – عليه السلام – مع أبنائه ، وفيه :

الوصية

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

البقرة: ١٣٢ - ١٣٣

ذكر الله سبحانه وتعالى أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه ، ويعقوب عليه السلام وصى بنيه أيضا ، ووضح لهم أن الله اختار لهم الدين ، وهداهم إليه وجعل الوحي فيهم ، فأمرهم بالمحافظة على الإسلام لله ، والإخلاص في الانقياد إليه ، بحيث لا يتركوا ذلك لحظة واحدة ، لئلا يموتوا فيها فيموتوا غير مسلمين .[٢٢]

من خلال حوار يعقوب – عليه السلام – يظهر :

١. في وصيته قال (يا بني) ناداهم بلفظ البنوة ، ولم يفرض عليهم بل بين أفضال الله عليهم وهدايتهم لهذا الدين فعليهم المحافظة عليه .

٢. حرص الأنبياء – عليهم السلام – على تربية أبنائهم على الدين الصحيح والتمسك به والتأكيد على ذلك .

٣. بيان اختيار الله سبحانه لآل إبراهيم وآل يعقوب الدين ، وهذه ميزة لهم وإنعام وفضل من الله عليهم فيجب التمسك به والحرص عليه .

٤. حرص يعقوب عليه السلام على أبنائه وعلى استقامتهم من بعده فوجه إليهم السؤال ، وهو سؤال تقرير ليشهدهم على أنفسهم بالتوحيد الخالص بالرغم من أن أبناءه صالحين وفي عداد الأنبياء

٥. وصية إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – لأبنائهما ، والتأكيد عليهما على عبادة الله سبحانه وتعالى والخوف من النكوص .

٦. الاهتمـــام بالأبناء من ناحية العقـــيدة من أهم ما يجب على الآباء التنبه إليه ، لأنه يحفظ للابن دينه ودنياه .

٧. من أهم الوصايا توصية الأبناء بالالتزام بشرع الله وعدم التهاون به أو التفريض فيه .

الاستماع والنصح

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ يوسف: ٤ - ٦

كانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على العبد من المشاق، لطفا بعبده، وإحسانا إليه ، وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعا له فيها، ولهذا قال: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) أي: يصطفيك ويختارك بما يمنُّ به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة،. (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تئول إليه الأحاديث الصادقة، كالكتب السماوية ونحوها، (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، (كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية، ودنيوية.

(إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر العباد من البر وغيره، فيعطي كلا ما تقتضيه حكمته وحمده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها ، ولما بان تعبيرها ليوسف، قال له أبوه: (يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) أي: حسدا من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم.

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) لا يفتر عنه ليلا ولا نهارا، ولا سرا ولا جهارا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم .

ويظهر من حوار يعقوب مع ابنه يوسف – عليهما السلام – :

١. استماع يعقوب – عليه السلام – لابنه وهو يقص عليه الرؤيا ، وإصغائه ليوسف إلى أن ينتهي من سرد رؤياه .

٢. استماع يعقوب ، واستبشاره وتفسيرها ، وربطه بالله في كل ما جاءه وسيأتيه من النعم .

٣. بيان الأمر ليوسف – عليه السلام – وأن هذا اصطفاء من الله بما يمن به عليه من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة .

٤. وكذلك نعمة الله عليه بتعليمه تعبير الرؤى ، وإتمام النعمة عليه في الدنيا والآخرة ، كما أنعم على أبويه إبراهيم وإسحاق – عليهما السلام –

٥. إحاطة علم الله ﷻ وحكمته فإنه سبحانه حكيم يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها .

٦. من هذه الرؤيا ظهرت مكانة يوسف ﷺ وما سيصل إليه من الارتفاع في الدنيا والآخرة .

٧. خوف يعقوب ﷺ على يوسف ، ونصحه بعدم ذكر هذه الرؤيا لإخوته ، ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر إذا خيف عليها الحسد .

٨. بيان الأمر والنصيحة سيما أن الابن هو الذي أتى أباه يطلب النصيحة ، فمن يطلب النصح والمشورة ليس كمن ينصح ابتداء .

٩. تذكير الأبناء بنعمة الله سبحانه وتعالى ، وأنه المتفضل في كل أحوال الإنسان .

١٠. اختصاص النعم فالخير يخص ، هذا من الاستبشار وإدخال الفرح والسرور على الابن .

١١. نصح الآباء للأبناء بعدم التحدث بكل أمر خصوصاً إذا كان هذا سيجلب لهم المضايقات

١٢. فهم الآباء لنفسية أبنائهم مهم جداً في توجيههم نحو الخير والبعد عن الشر .

الخوف على يوسف – عليه السلام –

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ يوسف: ١١ - ١٤

قال المفسرون[٢٣] : يحكي الله تعالى عن إخوة يوسف إذ تآمروا بينهم، وأجمعوا على الفرقة بين يوسف عليه السلام وبين والده يعقوب قولهم : يا أبانا ما لَكَ لاَ تأْمَنَّا على يوسُفَ فتتركه معنا إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء، ونَحْن نحوطه ونكلؤه ، فرد عليهم يعقوب بقوله : إني ليحزنني أن تذهبوا به معكم إلى الصحراء، مخافة عليه من الذئب أن يأكله وأنتم عنه غافلون لا تشعرون ، وهذا الكلام يدل على أن يعقوب عليه السلام كان يخافهم على يوسف ، فاعتذر إليهم بشيئين: أحدهما: أن ذهابهم به ومفارقتهم إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة. والثاني: خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم أو لعبهم لقلة اهتمامهم به ، وكأنه لقنهم الحجة، وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق .

يظهر من هذا الحوار ما يلي :

١. الصبر ونبذ الغضب ومعرفة الحقوق والواجبات أمر مهم لإنجاح أي حوار .

٢. في حوار يعقوب عليه السلام مع أبنائه يسمع لطلبهم ولأسباب أخذ يوسف عليه السلام مغنم .

٣. بيان الأسباب عند رفض طلب الأبناء ، مما يؤدي إلى اقتناعهم وعدم معاودة طلبهم .

٤. لا يزيد عن إيضاح أنه لا يحب مفارقته ، وأنه يخاف عليه .

٥. لم يبادرهم بعدم أخذه ومنعهم حتى لا يوغر صدورهم على أخيهم ، بل يوضح أنه يخاف الذئب على يوسف وهم في غفلة عنه ، فلا يتهمهم بالتقصير ، إنما ينبه أنهم قد يغفلون عنه .

٦. عند توجيه الأبناء ينبه الأب ولكنه لا يصر على أن هذا فعلهم ، وهذا يعطي ثقة في النفس وحرصاً على إظهار القدرة على فعل الأمر والمحافظة عليه .

٧. أحياناً يقع من الوالدين كلام يكون عليهم حجة فيما بعد ، وما وقع منه عليه السلام من هذا القول ، كان تلقينا للجواب من غير قصد ، والبلاء موكل بالمنطق.

الصبر

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَجَاءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

يوسف: ١٦ ــ ١٨

إن إخوة يوسف بعد ما ألقوه في غيابة الجب، ثم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون، ويظهرون الأسف والجزع على يوسف، ويتغمبون لأبيهم ، فقال لهم معرضاً عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه: { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ } أي: فسأصبر صبراً جميلاً على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه { وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } أي: على ما تذكرون الكذب والمحال [٢٤] .

ويؤخذ من هذا الحوار :

١. إن يعقوب عليه السلام لم يزد في توبيخهم ، أو الإكثار عليهم في القول بل قال ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

٢. وضّح أنه قد يكون هناك أمر لا يحبه ، ولكنه لا يجزم به بل يصبر ويدعو الله وهو وحده الذي يستعين به في إيضاح أمر يوسف عليه السلام وما فعلوه به .

٣. إخبار الأبناء بما في أنفسهم من التفريق بينه وبين يوسف عليه السلام لأنه رأى من القرائن والأحوال ما دله على ما قال .[٢٥]

٤. إذا ثبتت بالقرائن للأب ما في نفس الأبناء ، فإنه يلمح به أو يشير إليه لأن هذا يجعل الابن يتراجع عما يقول أو يفعل لأنه يعلم أن أمره قد انكشف .

٥. الالتجاء إلى الله وحث النفس على الصبر والتحمل لأن هذه الدنيا دار بلاء وامتحان .

٦. في التحكم بالنفس وعدم الجزع من الآباء إرشاد للأبناء إلى الصبر والتفاؤل بما سيأتي .

٧. الاستعانة بالله في كل الأمور .

العهد والميثاق

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ يوسف: ٦٣ – ٦٧

وكان قولهم هذا هو أول خبر قالوه لأبيهم، فور عودتهم ومعهم المِيْرة، وكأنهم أرادوا أن يُوضِّحوا للأب أنهم مُنِعوا مستقبلاً من أنْ يذهبوا إلى مصر، ما لم يكن معهم أخوهم. وحَكَوْا لأبيهم قصتهم مع عزيز مصر، وإن وافق الأب على إرسال أخيهم " بنيامين " معهم؛ فلسوف يكتالون، ولسوف يحفظون أخاهم الصغير .

وهم في قولهم هذا يحاولون أن يُبعِدوا ريبةَ الأب عمَّا حدث ليوسف من قبل. فذكَّرهم { قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ } أي قد فرطتم في يوسف

فكيف آمنكم على أخيه!. { فَاللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا } وفي هذا دليل على أنه أجابهم إلى إرساله معهم؛ ومعنى الآية: حفظ الله له خير من حفظكم إياه.

ثم لما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم ردت إليهم ، وجهوا الخطاب لأبيهم : أي شيء نطلب وراء هذا؟ وفّى لنا الكيل، وردّ علينا الثمن؛ أرادوا بذلك أن يُطيّبوا نفس أبيهم. وقوله: { وَنَمِيرُ أَهْلَنَا } أي نجلب لهم الطعام { وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ } أي حِمل بعير لبنيامين. [٢٦]

يظهر من خلال هذا الحوار ما يلي :

١. في حوار يعقوب عليه السلام مع أبنائه يبين لهم عدم اطمئنانه لقولهم لأن لهم سابقة مع أخيهم يوسف عليه السلام ولكنه يفوض أمره إلى الله ويتوكل عليه .

٢. إن التوكل على الله هو السبب في دفع المكروهات ، فإن يعقوب عليه السلام لم يقل لن أرسله معكم فقط ، بل اعتمد على الله وتوكل عليه . [٢٧]

٣. أن الإنسان إذا غُلِبَ على أمره فهو معذور ، وهذا من فقه يعقوب حينما قال (إلا أن يُحَاط بكم) فهو يطلب منهم أن يردوا أخاهم لكن فيما يقدرون عليه ، لكن إذا غُلِبوا ولم يستطيعوا أبداً فهم معذورون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة: ٢٨٦ . [٢٨]

٤. أخذه العهد والميثاق منهم على حفظ أخيهم .

٥. عدم فقد الثقة في الأبناء فقد ينصلح الحال ويتبدل الأمر .

٦. المؤمن يعتبر بما يصيبه ويحذر من أن يكون مغفلاً ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

٧. أن أخذ الأسباب للوقاية من العين أمر مشروع .

٨. الحرص على الأبناء والخوف عليهم بتوجيههم إلى ما ينفعهم ويدفع الأذى عنهم .

المطلب الرابع :-

حوار أم موسى – عليه السلام – مع ابنتها

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

القصص: ١١ - ١٣

عندما أمر الله أم موسى عليه السلام وأوحى إليها بكيفية إخفائه عن فرعون ، فعلت ما أوحى الله به إليها وهي على ثقة بوعد الله بحفظه ورعايته ، ثم إن أم موسى عليه السلام قالت لابنتها – أخت موسى (عليه السلام) – قصيه أي: اذهبي فقصي الأثر عن أخيك ، وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك فذهبت تقصه ، فأبصرته على وجه، كأنها مارة لا قصد لها فيه وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله.

ويظهر من هذا الحوار ما يلي :

١. على الوالدين والمربين أن يعطوا الثقة لأولادهم كي يفعلوا المطلوب منهم وهذا له دور كبير وفعال في دعمهم .

٢. محبة الآباء للأبناء فطرية ، ومن هذا حرص أم موسى عليه السلام على فلذة كبدها ، ومحاولة تتبع أخباره .

٣. الاستعانة بأخت موسى عليه السلام في البحث عنه والوصول إليه .

٤. على الرغم من بطش فرعون وجبروته إلا أنها تطلب منها أن تقتفي أثر أخيها ، علّه يرجع إليها .

٥. استماع الأخت لطلب الأم ومحاولة الوصول حتى إلى قصر فرعون الطاغية .

٦. توجيه الأبناء إلى المحبة والترابط فيما بينهم ، والحرص على أن يكونوا يداً واحدة .

٧. مشاركة الأبناء في حل المشاكل الأسرية ، وإعطائهم الفرصة للتصرف وإبداء الرأي .

٨. وجوب الأخذ بأنجح وأفضل الأساليب البشرية للتخطيط والتنظيم ، وأخذ الحيطة والحذر وكتمان الأسرار عن الأعداء ، والفطنة والذكاء وحسن التصرف معهم ، كما رأينا من موقف أخت موسى عليه السلام . [٢٩]

المبحث الثالث : حوار الأبناء مع آبائهم، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول :-

حوار إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه آزر [٣٠]

البراءة من الشرك

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ مريم: ٤١ - ٤٧

يبين الله في هاتين الآيتين الكريمتين : أن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرفق واللين ، وإيضاح الحق والتحذير من عبادة ما لايسمع ولا يبصر ، ومن عذاب الله وولاية الشيطان ، خاطبه هذا الخطاب العنيف ، وسماه باسمه ولم يقل يابني في مقابلة قوله له يا أبت ، وأنكر عليه أنه راغب عن عبادة الأوثان ، وهدده بأنه إن لم ينته عما يقول ليرجمنه ثم إن إبراهيم قابل جوابه العنيف بغاية الرفق واللين ، قال " سلام عليك " [٣١]

ويظهر من حوار إبراهيم لأبيه عدة أمور :

١. هذا إبراهيم – عليه السلام – في حواره مع أبيه الكافر يفتتح كل جملة يدعو بها أباه بقوله (يا أبت) تذكيراً بتلك الرابطة القوية بينهما ، وترقيقاً لقلبه [٣٢] ، ورغبة منه في لمس قلبه والتأثير فيه .

٢. إن إبراهيم – عليه السلام – يدعو أباه إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ويحاوره ، ويبين له ضلال الآلهة وضعفها وعدم استجابتها

٣. سؤالهم ليقرر لهم ضعف الآلهة ثم يتبرأ منهم ، ويتجه إلى ربه يدعوه ، وهم يستمعون إليه لكي يرجعوا عن غيهم ويؤمنوا بالله ، بذكر أنها مجرد تماثيل لا تتحرك ولا تفعل شيئاً .

٤. بالرغم من أنهما على ملتين مختلفتين إلا أن إبراهيم – عليه السلام – في حواره مع أبيه يلتزم بالأدب والدعوة إلى الحق ثم البراءة من الشرك .

٥. بالرغم من تهديدات الأب بالرجم والهجر إلا أنه يدعوه ويتلطف معه في الحوار وهذا هو المطلوب في حوار الأبناء مع الآباء ، فلا ينسوا أنهم آباءهم وأن لهم الفضل بعد الله تعالى في تربيتهم والعناية بهم ، حتى اختلاف الدين لا يسوغ لهم العصيان وعدم الطاعة ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَتْ : قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمُدَّتِهِمْ مَعَ أَبِيهَا فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا قَالَ نَعَمْ صِلِيهَا [٣٣]

٦. إظهار الخوف على أبيه من العذاب ، ولم يقل (يعذبك) بل (يمسك) فلم يذكر له التعذيب صراحة بل ذكر المس فقط ، وفي هذا إشارة إلى أن العذاب شديد ، وهو يخاف عليه حتى من مس هذا العذاب .

٧. بالرغم من قسوة رد الأب حيث ناداه باسمه ، وإصراره على موقفه ، بل وتوعده لإبراهيم عليه السلام بالرجم والهجر ، إلا أن إبراهيم – عليه السلام – قال (سأستغفر لك ربي) فهذا الابن الصالح في دعائه للأب وحواره معه لا يصرخ في وجهه أو يرفع صوته ، بل يناديه بالمحبة والشفقة والرأفة .

٨. مخاطبة الجهال وأهل الخصومة والعناد باللين والرفق علهم يرجعوا عن عنادهم قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣

المطلب الثاني :-

حوار إسماعيل مع أبيه إبراهيم – عليهما السلام –

الطاعة[٣٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات: ١٠٢

جاءت إجابة إسماعيل لأبيه إبراهيم – عليهما السلام – على سبيل التوقير والتعظيم ، وأتى بجواب حكيم ﴿ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ على قضاء الله تعالى، ذبحاً كان أوغيره ، وفيه أيضاً إغراء لأبيه عليه السلام على الصبر لما يعلم من شفقته عليه مع عظم البلاء .[٣٥]

في حوار إسماعيل مع أبيه إبراهيم – عليهما السلام – يظهر ما يلي :

١. ضرب لنا إسماعيل أروع المثل في طاعته لأبيه وامتثال أمره

٢. يأتي الرد من الابن البار الطائع لربه والطائع لأبيه (افعل ما تؤمر) أمره أن يفعل ما أمره الله به ، ولم يكتف بهذا القول بل يكمل أنه سيكون صابرا أشد ما يكون الصبر لأنه يعلم أن هذا وحي من الله ويجب عليه تنفيذه

٣. عندما أخبره أنه يريد أن يذبحه فهو لم يزد عن قول (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)

٤. بر الابن بأبيه فهو لم يعارض أو يحاول حتى سؤال أبيه عن حقيقة ما سيفعل بل قال : افعل ما تؤمر ، فهو يعلم أن أباه على حق ، ولا يريد إلا مصلحته فهو يتبعه ولا يعترض عليه

٥. على الرغم من تخيير الأب له واستشارته برأي ابنه ، ولم يفرض عليه القول فرضاً إلا أن إسماعيل يطيع أباه دون مجادلة أو لجاجة .

٦. إن إبراهيم – عليه السلام – أعطاه السبب لفعله فكان رد الابن بناء على هذا الأمر وأنه من الله وأنه موافق على ذلك .

٧. موافقة إسماعيل على رؤيا أبيه فيها إظهار لثقته في أبيه ، وحسن ظن به .

٨. تعامل الآباء مع الأبناء بصورة جيدة يجعل الأبناء يثقون في الآباء ويفوضون الأمر إليهم

٩. بيان الأسباب عند الحوار مع الأبناء من أفضل الطرق التي توصل إلى النتيجة المرجوة .

المطلب الثالث :-

حوار يوسف مع أبيه يعقوب – عليهما السلام –

الاستماع والنصح [٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ يوسف: ٤ – ٦

يوسف عليه السلام في حواره لأبيه في قصة الرؤيا يخاطبه بلفظ الأبوة ويحكي لأبيه ما رآه فهو على صلة بأبيه ومحبة ، ويعقوب – عليه السلام – يستمع إليه ويصغي ويوجهه ، فالأسلوب الحسن والطاعة من الأبناء هي التي تقرب قلوب الأبناء : –

١. خطاب يوسف لأبيه ومناداته بلفظ الأبوة المحبب إلى النفس ، فهو يقوي صلة الابن بأبيه .

٢. إظهار الحب والحنان من الآباء يجعل الأبناء متعلقين بهم ، ويقصون عليهم ما يمرون به من تجارب .

٣. عدم لوم الأبناء أو توبيخهم حتى لا يتركوا مصارحة الآباء ، ويلجئوا إلى أصحابهم ، مما يسبب لهم المشاكل .

٤. تقريب الأبناء وإعطائهم فرصة للحديث والكلام والمشاركة ، وتوجيههم إذا احتاجوا لذلك .

٥. مما يقوي صلة الأبناء بآبائهم : الاستماع إلى الأبناء وعدم تهميش أو تكذيب ما يتحدثون به أو يقصونه من رؤىً وخيالات ونحوه .

التخطيط

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ يوسف: ١١ - ١٤

سؤال فيه عتب وفيه استنكار خفي، وفيه استجاشة لنفي مدلوله من أبيهم، والتسليم لهم بعكسه وهو تسليمهم يوسف. فهو كان يستبقي يوسف معه ولا يرسله مع إخوته إلى المراعي والجهات الخلوية التي يرتادونها لأنه يحبه ويخشى عليه ألا يحتمل الجو والجهد الذي يحتملونه وهم كبار، لا لأنه لا يأمنهم عليه. فمبادرتهم له بأنه لا يأتمنهم على أخيهم وهو أبوهم، مقصود بها استجاشته لنفي هذا الخاطر؛ ومن ثم يفقد إصراره على احتجاز يوسف. فهي مبادرة ماكرة منهم خبيثة! [٣٧].

ويظهر من خلال هذا الحوار ما يلي :

١. التمهيد من أبناء يعقوب – عليه السلام – له حتى يأخذوا يوسف معهم ، لأنهم يعلمون أن أباهم لا يترك يوسف يذهب معهم .

٢. التحايل على الأب بذكر الهدف من أخذهم ليوسف – عليه السلام – وهو التسلية ، وهذا يحدث من الأبناء عند الطلب من الآباء ، فهم يتحايلون بشتى الطرق ليصلوا إلى مرادهم .

٣. التخطيط لأخذ يوسف – عليه السلام – وإبعاده عن أبيه ، وسلوك كل الطرق الظاهرة والخفية التي تعينهم على ذلك .

٤. تقديم نظرة الأب فيهم وهي أنه لا يأتمنهم سبب لمنع أخاهم من الذهاب معهم .

٥. ذكاء الأبناء عموماً فهم يعرفون كيف يضغطون على آبائهم عند طلباتهم .

٦. إيضاح الأسباب واختيار الألفاظ الحسنة عند مخاطبة الآباء .

الحيلة والكذب

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

يوسف: ١٦ ــ ١٨

يظهر من هذا الحوار :

١. احتيال الأبناء ، ومحاولة تبرير الأفعال حماية لأنفسهم من المحاسبة على التقصير .

٢. في كافة صور الاحتيال والكذب يلجأ المحتالون إلى عدة أمور تغطي أفعالهم من إحضارهم للقرائن التي تدل على صحة كلامهم .

٣. مبادرتهم له بعد تصديقهم وإيمانه بما يقولون ، مقصود بها استجاشته لنفي هذا الخاطر .

المطلب الرابع :ـ

حوار ابنة شعيب مع شعيب – عليه السلام –

حوار إبداء الرأي في المسألة والمشورة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦

{ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا } وهي التي استدعته إلى أبيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام { يَا أَبَتِ اسْتَئْجِرْهُ } أي لرعي الأغنام والقيام بأمرها ، { إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَئْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ } ((ثم إن كلامها هذا كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت الخصلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك. وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول: استأجره لقوته وأمانته)) ولعمري إن مثل هذا المدح من المرأة للرجل أجمل من المدح الخاص وأبقى للحشمة وخصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها أن يزوجها منه، ومعرفتها قوته عليه السلام لما رأت من دفعه الناس عن الماء

وحده حتى سقى لهما، ومعرفتها أمانته من عدم تعرضه لها بقبيح مّا مع وحدتها وضعفها وغض بصره حال ذوذهما الماشية وحال سقيه لهما وحال مشيه بين يديها إلى أبيها .[٣٨]

وهنا عرض لنا القرآن جزء من كـــلام ابنة شعـــيب لأبيها ومحاورتها له حيث أبدت رأيها في موسى – عليه السلام –

ويظهر من هذا الحوار ما يلي :

١. مخاطبة ابنة شعيب أباها ، وطلبت منه استئجار موسى ﷺ حيث أبدت رأيها مشفوعاً بأسبابه .

٢. ثقة الأبناء في الآباء حيث يفصح الابن عن رأيه ولا يخشى شيئاً ولا يخاف من توبيخ أوتعنيف الأب .

٣. تعليل الطلب بإيضاح رأيها فيما تطلب لأن هذا يقوي الطلب ويعضده .

٤. إعطاء المشورة والرأي للأب لا ينافي الأدب وحسن التعامل مع الآباء .

٥. اقتراح ابنة شعيب على أبيها استئجار موسى ﷺ يدل على حسن تعامل الأب مع أبنائه .

٦. تعليم الأبناء حسن الظن بالآخرين ، والحديث عن الجوانب الطيبة فيهم .

٧. إبداء الرأي من الأبناء فيه تعويد لهم على حسن التعامل والاختيار وزرع الثقة في نفوسهم

٨. نستطيع معرفة ما في داخل الأبناء ، من خلال اختيارهم وتعبيرهم عن أشياء لا تكون هي الهدف بالذات .

٩. حســـن الأدب في مخاطبة الأب : مثل المناداة بلفظ الأبوة ، مما يشعر بحـــنان الأب وقربه من الأبناء .

المطلب الخامس :-

حوار الابن العاصي الكافر مع والديه

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الأحقاف: ١٧

التحقيق أن { الذي } في قوله: { وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ } بمعنى الذين، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث ، إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث بعد الموت { أفٍّ لكما } وهي كلمة كراهية { أتعداننني أن أخرج } يعني من قبري حياً { وقد خلت القرون من قبلي } يعني فلم يبعث منهم أحد { وهما يستغيثان الله } يعني يستصرخان بالله عليه ويقولان له { ويلك آمن إن وعد الله حق } يعني بالبعث { فيقول ما هذا } يعني الذي تدعونني إليه { إلا أساطير الأولين } والقول الصحيح أنه ليس المراد من الآية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأنكر. وقيل نزلت في كل كافر عاقٍّ لوالديه ، والإخبار عن لفظة الذين في قوله { أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ } القول بصيغة الجمع، صريح في أن المراد بالذي، العموم لا الإفراد وخير ما يفسر به القرآن القرآن .[٣٩]

وفي هذا الحوار يظهر أثر الكفر والعصيان في حوار الابن العاق مع والديه :

١. طريقة محاورة الابن العاق لوالديه ، يتلفظ بأصعب الألفاظ على الوالدين ويقول "أفٍ لكما"

٢. إن الكفر بالله ، والجحود ، يؤدي إلى عقوق الوالدين وعدم برهما .

٣. كل الجحود والنكران للوالدين لأنهما يذكرانه بالله ، ويدعوانه للإيمان بالبعث والجزاء .

٤. تقبيح قول الوالدين ، واتهامها باتباع الأقوال الغير مصدقة .

٥. يظهر سوء الأدب في تعامل الابن العاق لوالديه .

وهذا نموذج سيء لحوار ابن عاق مع والديه المؤمنين .

المبحث الرابع: حوارات الإخوة، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :-

حوار موسى وأخيه هارون – عليهما السلام –

حوار الطلب والاستخلاف

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾

الأعراف: ١٤٢

قال الطبري[٤١] : يقول تعالى ذكره: لما مضى موسى – عليه السلام – لموعد ربه، قال لأخيه هارون عليه السلام { اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي } يقول: كن خليفتي فيهم إلى أن أرجع، { وأَصْلِحْ } يقول: وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته.

وقوله: { وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } يقول: ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم. فكانت مواعدة الله تعالى موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ونجى من بني إسرائيل فيما قال أهل العلم .

يظهر من هذا الحوار ما يلي :

١. مساعدة الإخوة لبعضهم والترابط بينهم حيث استخلف موسى – عليه السلام – أخاه هارون

٢. توصية الأخ بالقوم وحثه على الاهتمام بهم ، وعدم الاستماع للمفسدين .

٣. الثقة المتبادلة بين الإخوان حيث جعل هارون مكانه .

٤. الخلافة والاستخلاف مطلب شرعي لكي تستقيم الأمور ويحافظ على الأمة .

٥. الإخوة إذا اجتمعوا يكونون يداً واحدة ولحمة واحدة ولا يستطيع أحد التفريق بينهم .

٦. أهمية التناصح بين الإخوة حتى تسير دفة الأمور كما وصى موسى أخاه هارون عليه السلام

٧. التحذير من أهل الشر والباطل ، حتى ينجو المجتمع من شرورهم .

٨. على الإخوة تقبل نصيحة بعضهم لأن في الاتحاد قوة .

٩. الخوف على أخيه من أهل الباطل والشر لأنهم يحيطون بالإنسان فيجب الحذر منهم .

١٠. الأخذ على يد الآخرين وعدم السماح لهم بفعل ما يخل بأمن الأمة .

١١. الإصلاح من أهم الأمور فليست الرئاسة تشريف ، بل تكليف ولها تبعات أهمها الإصلاح والبعد عن الفساد .

١٢. البعد عن الإفساد والمفسدين حتى يستقيم المجتمع .

حوار المعاتبة

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠ – ١٥١

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾

طه: ٩٢ - ٩٤

﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ طرح موسى – عليه السلام– الألواح من يديه ليأخذ برأس أخيه مما كان به من شدة الغضب لله تعالى ، وأسفه لما فعل قومه من الشرك بالله ، ولما ظن من تقصير أخيه ، وأخذ بشعر رأس أخيه يجره إليه بذؤابته ، وقيل إن هارون هو أخ لموسى عليه السلام لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحدة ، وذلك أدعى للعطف والرقة وأعظم للحق الواجب .

﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ والمعنى : يا ابن أمي لا تعجل بمؤاخذتي وتعنيفي فإنني لم آل جهداً في الإنكار على القوم ، والنصح لهم ، ولكنهم استضعفوني ، فلم يرعووا لنصحي ، ولم يمتثلوا أمري بل قاربوا أن يقتلوني ، فلا تفعل بي من المعاتبة والإهانة ما يشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين لأنفسهم بعبادة العجل .

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴾ أي : اغفر لي ما أغلظت عليه به من قول وفعل ، واغفر ماعساه قصر فيه من مؤاخذة القوم ، وأدخلنا في رحمتك التي وسعت كل شيء بجعلها شاملة لنا واجعلنا مغمورين بها .

﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ هذا ثناء يدل على مزيد في الثقة وفي الرجاء ، والدعاء في جملته أقوى في استعتاب هارون من الاعتذار له ، وأدل على تخييب أمل الأعداء في شيء مما يثير حفيظة الشماتة ، قال الزمخشري في تعليله : ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم ، واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ، ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة ، وطلب أن لا يتفرقا عن رحمة الله ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة . [٤١]

يظهر هذا الحوار في حوار موسى لأخيه هارون – عليهما السلام –

١. مخاطبة موسى لأخيه ويسأله عن أسباب عدم منعهم من عبادة العجل .

٢. يسأله سؤال المستنكر لما حصل من فعل بني إسرائيل وفيهم أخو موسى – عليه السلام –

٣. إجابة هارون على أخيه وبيان سبب عدم منعهم مما فعلوا .

٤. معاتبة موسى لهارون لأنه ظن أنه فرط .

٥. ضرورة الاستماع للطرف الآخر حتى لا يدخل الشيطان بين الإخوة .

٦. ضبط النفس وعدم الغضب حتى لا يتطور الأمر.

٧. سماع الحجة كاملة قبل الحكم على الإخوة .

٨. استماع الأخ لنصيحة أخيه ، ولكن حدثت أمور خارجة عن إرادته ، لذلك لابد من التحمل وعدم الغضب .

٩. عدم انتهار الأخ أو فضحه أمام الآخرين لأن هذا يسبب الفرقة والتنازع ، ويعطي الفرصة للآخرين في الاعتداء والتفريق .

٨. الحذر من اللوم والتوبيخ أمام الآخرين حتى لا يشمتوا به ويكون مع الظالمين .

٩. إن الملامة تؤدي إلى العصيان والتهور ، وقد تصيب الإخوة بالإحباط ثم الانتقام ، فبدل الاتحاد تكون الفرقة والخصومة .

١٠. عدم الاستعجال في الحكم على الإخوة في حالة رؤية الخطأ حتى تستبين الأمور ، مع تجنب النصح في العلانية .

١١. دعاء موسى لنفسه ولأخيه بطلب المغفرة والرحمة ، فالدعاء للإخوان وإبلاغهم بذلك فيه من زيادة الترابط والمحبة والرحمة فيما بينهم .

المطلب الثاني :-

حوار ابني آدم – عليه السلام –

الحسد

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ المائدة: ٢٧ – ٣١

هذه القصة تقدم نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان؛ ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لامبرر له. كما تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة؛ ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة. وجهاً لوجه، كل منهما يتصرف وفق طبيعته.. وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشر، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير؛ ويثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل، تكف النموذج الشرير المعتدي عن الاعتداء؛ وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام على الجريمة؛ فإذا ارتكبها – على الرغم من ذلك – وجد الجزاء العادل، المكافىء للفعلة المنكرة. كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه. فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش، وأن تصان، وأن تأمن؛ في ظل شريعة عادلة رادعة .

يظهر من هذا الحوار :

١. مجرد قبول القربان جعل الأخ الحاسد يتغير على أخيه ، ويحاول تهديده وقتله ، وإظهار هذا للأخ لأن الحاسد غالباً لا يستطيع درء حسده .

٢. رد الأخ المؤمن عليه بكل هدوء وثقة بوعد الله للمؤمنين أن الله يتقبل من المتقين ، فهو في حواره لأخيه لم يبادره بأنه حاسد حاقد بل يبين له أسباب قبول الأعمال وهي تقوى الله .

٣. يبادر أيضاً بقوله أنه لا يستطيع أن يفعل ما يفعله أخوه من القتل والاعتداء مع بيان العلة أيضاً في ذلك وهي مخافة الله سبحانه وتعالى

٤. في حوار الأخ الكافر يظهر الحسد ، سوء القول ، التهديد ، الإصرار على تنفيذ الفعل وهذا الأمر في الحوار يوغر صدر الطرف الآخر ، ويجعل الأمر أو الحوار متصعداً ولا يصل إلى نتيجة حسنة ، لأن الأصل كان مبنياً على خطأ .

٥. في هذا النموذج يظهر فضل الطرف الهادئ الواثق المؤمن في رده على أخيه ، فهو لم يقل له لا تستطيع فعل ذلك بل بين له فعله تجاه أخيه ، مهما حصل منه ومهما فعل فهو أولاً أخوه من لحمه ودمه ، وثانياً أن إيمانه ودينه يمنعه من فعل الشر وإرادة الضرر بالآخرين .

٦. لهذا الأمر لما حصل القتل من الأخ الحاسد ندم مباشرة على فعله لأن أخاه لم يتحداه أويتعرض له بسوء فأحس بخطيئته وما اقترفت يداه .

٧. عدم مجابهة الأخ في حالة الثورة والغضب حتى لا يتطور الأمر .

٨. الرد بالرفق واللين لأن الرفق ما كان في شيء إلا زانه .

٩. الرضا بما قسم الله يؤدي إلى الراحة وطمأنينة القلب وعدم حسد الآخرين .

المطلب الثالث :-

حوار إخوة يوسف – عليه السلام –

المكيدة والعداء

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

يوسف: ٨ – ١٠

يظهر من الحوار ما يلي :-

١. تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد ، ويورث الآفات . [٤٢]

٢. تحاورهم فيما بينهم على الخلاص من يوسف بسبب أنه أحب إلى أبيهم منهم .

٣. أن الغيرة تدفع أصحابها للضرر والإيذاء فإنه لما غاروا من أخيهم سعوا في إيذاءه .

٤. أن هذه الغيرة يمكن أن تؤدى إلي الكيد والقتل و ليس مجرد الإيذاء فان هذه القضية قد أوصلتهم إلى أن يسعوا إلى قتل أخيهم .

٥. تقديم العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلاً لفعله وإزالة لشناعته وتنشيطاً من بعضهم لبعض . [٤٣]

٦. بعض الشر أهون من بعض ، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل . [٤٤]

التشاور لحل المشكلة

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ يوسف: ٨٠ – ٨١

١. استعظام شأن العهد واستشعار المسئولية والعمل على تحقيق ما أُخِذَ على الإنسان من الميثاق الغليظ .

٢. وقف أخوه يوسف هذا الموقف الشديد في هذه الكربة . وهذا يختلف تماما عن حالهم لما تحايلوا وأخذوا يوسف وألقوه في غيابات الجب .

٣. النجوى مشروعة محمودة ، وإخوة يوسف _عليه السلام_ كأن الشورى سجية بينهم وطبيعة حتى أصبحوا يألفونها في كل شيء. تشاوروا عندما أرادوا أن يأخذوا يوسف، وتشاوروا في قصة بنيامين . [٤٥]

٤. إن الاعتراف بالخطأ صفة تنم عن موضوعية وجرأة حاملها .

٥. إن الخطأ لا يدل على تأصل الشر في نفوسهم ، فضياع أخيهم الآخر بدون تفريط ذكرهم بما فعلوه ليوسف – عليه السلام –

٦. أثر العهد والميثاق في محاسبة إخوة يوسف لأنفسهم .

الندم

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا

تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ يوسف: ٨٩ - ٩٣

١. أن الله عز وجل يؤيد المظلوم ولو بعد حين ويجعله في منزله عالية إذا صبر وأتقى .

٢. إن المسلم يراعى مشاعر إخوانه فيوسف قال (لا تثريب عليكم اليوم) ، وكذا فعل نبينا الكريم محمد ﷺ فقال لقريش عندما دخل مكة فاتحاً : أقول كما قال يوسف " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين " [٤٦]

٣. يظهر التسامح جلياً من يوسف عليه السلام ، فما أهانهم ولا وبخهم بل انتحل العذر لهم .

٤. العفو التام من غير تعيير على الذنب السابق مع الدعاء لهم بالمغفرة هو نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق ، وخيار المصفين . [٤٧]

الخاتمة :-

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ، فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث :

١. إن أسلوب الحوار من أنجح الأساليب لحل المشكلات بين الأفراد .

٢. إن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق ، وليس تجريح أو إيذاء الطرف الآخر .

٣. اتسم حوار النبي ﷺ مع زوجاته باللطف في العتب والإعراض عن استقصاء الذنب .

٤. أهمية المحافظة على الأسرار الزوجية ، وعدم إفشائها .

٥. اللطف ولين الجانب وتفهم الطرف الآخر كلها أساليب فعالة في الحوارات الزوجية .

٦. تظهر في حوار الآباء مع أبنائهم ملامح الشفقة والرحمة ، والوصية بما ينفعهم .

٧. في حوار الأبناء مع آبائهم لابد من التزام الأدب وحسن الأسلوب ولين العبارة .

٨. الحوارات بين الإخوة من شأنها جمع الكلمة وتوحيد الرأي والاتفاق على الأمر .

وإنني أدعو الباحثين ، وجميع المتحاورين من كل فئات المجتمع أن يعودوا إلى المنهج الأصيل والنبع الصافي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث صور الحوار بأنواعه المتعددة وآداب الحوار الهادف ، وأحسن الأساليب في الإقناع وإقامة الحجة على الطرف الآخر .

وبعد فهذا جهد المقل ، فإن أصبت فبتوفيق المولى القدير ومنته علي ، وإن أخطأت فمن نفسي وأستغفر الله ، أنار الله بصائرنا بآيات الذكر الحكيم ، وأرشدنا إلى التخلق بآدابه العظيمة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

الهوامش :-

---

[1] . لسان العرب ٤ / ٢١٩

[2] . المعجم الوسيط ص٢٠٥

[3] . مفردات الراغب ص١٣٥

[4] . الوسيط ٢٠٥

[5] . أصول التربية الإسلامية وأساليبها . عبدالرحمن النحلاوي ص ١٨٥

[6] . ثقافة الحوار الأسري . استقلال أحمد الباكر

[7] . الطبري ١٤ / ١٦٠

[8] . روح المعاني ٢٨ / ١٥٠

[9] . الرازي ٢٩ / ٤٣

[10] . الطبري ١٤ / ١٦٠

[11] . القرطبي ١٨ / ١٨٧ . روح المعاني ٢٨ / ١٥٠

[12] . روح المعاني ٢٨ / ١٥٢

[13] . المرجع السابق

[14] . صحيح البخاري . كتاب النكاح . باب الغيرة برقم (٤٨٢٤)

[15] . انظر : الطبري ١١ / ١٥٥ . الرازي ٢٥ / ٢٠٥ . القرطبي ١٤ / ١٦٣

[16] . الطبري ١١ / ١٥٨ ، الرازي ٢٥ / ٢٠٧ ، روح المعاني ٢٢ / ٣

[17] . الظلال ٥ / ٦٩١

[18] . انظر : البحر المحيط ٥ / ٢٢٥ . روح المعاني ٢٢ / ١٠٢

[19] . انظر : من قصص السابقين ٢ / ٢٢٤

[20] . المرجع السابق

[21] . الطبري ١٢ / ٧٧ . الرازي ٢٦ / ١٥٢

[22] . القرطبي ٢ / ١٣٧

[23] . الطبري ٧ / ١٥٧ ، الرازي ١٨ / ٩٦

[24] . تفسير ابن كثير ٢ / ٤٧٠

[25] . تفسير السعدي ١ / ٣٩٥

[26] . القرطبي ٩ / ٢٤٢

[27] . ١٠٠ فائدة من سورة يوسف – عليه السلام –

[28] . المرجع السابق

[29] . مع قصص السابقين في القرآن ١ / ٩٠

[30] . تكررت قصة إبراهيم مع أبيه آزر في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، واقتصرت منها سورة مريم

[31] . أضواء البيان ٤ /٢٨٧

[32] . المعجزة الكبرى للقرآن الكريم . ١١٣ – ١١٤

[٣٣] . صحيح البخاري ، الجزية ، إثم من عاهد ثم غدر برقم (٢٩٤٦) ، ومسلم . الزكاة ، فضل النفقة

[٣٤] . تقدم الحديث عن تفسير الآية واستنباط معانيها في حوار الآباء مع الأبناء

[٣٥] . روح المعاني ٢٣ / ١٢٩

[٣٦] . تقدم جزء من تفسير هذه الآية وشرحها في مبحث حوار الآباء مع الأبناء

[٣٧] . في ظلال القرآن ٤ / ١٩٧٥

[٣٨] . الرازي ٢٤ / ٢٣٨ ، روح المعاني ٢٠ / ٦٥

[٣٩] . أضواء البيان ٧ / ٣٨٧

[٤٠] . الطبري ٦ / ٤٧ . وانظر تفسير النسفي ٢ / ٧٨ . المنار ٩ / ١٢١

[٤١] . النسفي ٢ / ٧٩ . المنار ٩ / ٢٠٨ – ٢٠٩

[٤٢] . الرازي ١٨ / ٩٣

[٤٣] . تفسير السعدي ١ / ٣٩٥

[٤٤] . المرجع السابق

[٤٥] . انظر : مقالة إلكترونية بعنوان " ماخاب من استشار " د.ناصر العمر

[٤٦] . سنن البيهقي(١٣/٤٤٠) . سنن النسائي الكبرى(٦/٣٨٢)

[٤٧] . تفسير السعدي ١ / ٤٠٥

فهرس المصادر والمراجع

١. تفسير البحر المحيط . أبو حيان الأندلسي ، وبهامشه : تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط . دار الفكر . ط٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

٢. تفسير القرآن العظيم . الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير . دار الفكر

٣. تفسير النسفي . أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي . دار الكتاب العربي - بيروت

٤. التفسير الكبير . الإمام الفخر الرازي . دار الكتب العلمية - طهران . ط٢

٥. تفسير القرآن الحكيم الشهير بـ (تفسير المنار) . محمد رشيد رضا . دار المعرفة - بيروت

٦. جامع البيان في تفسير القرآن . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . دار المعرفة - بيروت

٧. الجامع لأحكام القرآن . أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطبي . دار إحياء التراث العربي - بيروت

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . محمد الأمين الشنقيطي . ط ١٤٠٣ هـ

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . السعدي . أولي النهى للإنتاج الإعلامي

١٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم . شهاب الدين محمود الألوسي. دار إحياء التراث العربي

١١. صحيح البخاري . أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٢. في ظلال القرآن . سيد قطب . دار الشروق - بيروت ، القاهرة ، ط١٠ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

١٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . الزمخشري . دار المعرفة للطباعة

١٤. لسان العرب . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي . دار صادر - بيروت

١٥. مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر الرازي . ترتيب محمود خاطر . دار الفكر - بيروت

١٦. المعجزة الكبرى . محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي - القاهرة

١٧. المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم الحسين الراغب الأصفهاني . دار المعرفة - بيروت

١٨. المعجم الوسيط . إبراهيم أنيس وعبدالحليم منتصر . المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر

١٩. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . مكتبة بريل

٢٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي - بيروت

٢١. مع قصص السابقين في القرآن . صلاح عبد الفتاح الخالدي . دار القلم - دمشق ١٤٠٩ هـ

٢٢. أصول التربية الإسلامية وأساليبها . عبد الرحمن النحلاوي .

٢٣. (١٠٠) فائدة من سورة يوسف - عليه السلام - محمد صالح المنجد .

٢٤. ثقافة الحوار الأسري . استقلال أحمد الباكر .